اجتهادات
عُقدة 1938 فى 2022

يبدو التركيزُ الزائدُ فى البُعد الإقليمى للأزمة الأوكرانية اختزالاً لصراعٍ أكبر وأكثر تعقيدًا ينطوى أيضًا على أبعادٍ داخليةٍ تتعلقُ بالتفاعلات السياسية فى البلدان المعنية بها، وأخرى دولية قد تكونُ أكثر أهمية من غيرها فى مرحلة تحولٍ فى النظام العالمى.

ترتبطُ الأبعادُ الدوليةُ فى هذه الأزمة بطموحات روسيا التى تتداخلُ مع مخاوفٍ أمنية تُصرُ على الاستجابة لها، ومساعى الولايات المتحدة والاتجاه الغالب فى الحلف الأطلسى الناتو إلى تحجيم الدولة التى كانت ثانيةَ اثنتينِ فى قمة النظام العالمى قبل عقودٍ قليلة.

وأحدُ الأسئلة الأساسية المطروحة اليوم، السؤال عن تفسير رفض الجبهة الأمريكية-الأطلسية التجاوب مع طلب روسيا الحصول على ضماناتٍ أمنية فى مقدمتها اثنتان هما التعهد بعدم استمرار الناتو فى التوسع شرقًا، أى إلغاء ملف انضمام أوكرانيا المعروض عليه منذ 2008، وعدم نشر أسلحة مُحددة فى بعض دول شرق أوروبا التى التحقت به. وتجاهل هاتين الضمانتين هو ما أثار استياء روسيا من الرد الأمريكى الذى تلقتهُ على مقترحاتها, وفق ما يمكن استنتاجه من التعليقات الروسية على هذا الرد، الذى تضمن أفكارًا بشأن مسائل تراها موسكو ثانويةً، أو بعيدةً عن مطالبها التى تُعدها أساسية.

وعندما نتأملُ الطريقةَ التى يُفكرُ بها الأمريكيون وحلفاؤهم فى الناتو، ودوافعهم لرفض تقديم ما يرونه تنازلاً كبيرًا لروسيا، يتداعى إلى الذهن تاريخُ يبدو بعيدًا بحساب الزمن، ولكنه حاضرُ بقوة فى إدارتهم الأزمة التى تقتربُ من حافة الهاوية. إنها عُقدةُ اتفاقية ميونيخ 1938، التى وقعتها بريطانيا وفرنسا مع ألمانيا وإيطاليا اعتقادًا فى أن ضم إقليم السوديت التشيكى هو كل ما يريده هتلر. ولكن ما أن وُقعت تلك الاتفاقيةُ لاسترضائه فى سبتمبر 1938 حتى أخذ فى الإعداد لاحتلال بقية تشيكوسلوفاكيا، ثم شن هجومًا على بولندا، فأعلنت بريطانيا وفرنسا الحربَ التى صارت عالميةً.

ورغم أن روسيا اليوم ليست ألمانيا 1938، وبوتين ليس هتلر، فثمةُ أحداثٍ مفصليةٍ فى العلاقات الدولية تبقى مؤثرةً ويُقاسُ عليها فى حالات قد تكون مختلفةً، وتتحولُ بالتالى إلى ما يُشبه العُقد التى لا يسهلُ الخلاص منها.